المهن الشعبية للمرأة
دراسة انثروبولوجية في منظفة شارع فلسطين

الباحثة: زينب محمد علي
Zainab234@gmail.com
أ. م د حيدر علي حسن
Hayderali772@gmail.com
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

الملخص:-

كان الاهتمام بعلم الأنثروبولوجيا من العالم الخارجي متواضعاً، وكان تأثيره يقتصر عادة على الدوائر الأكاديمية، ونادراً ما كان يلعب دوراً في الحياة العامة لمجتمع علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم، ولكن هذا تغير الآن، فقد اكتشف عدد متزايد من غير الأكاديميين في الغرب أن علم الأنثروبولوجيا يمثل رؤى أساسية معينة تتعلق بالحالة الإنسانية، والتي يمكن تطبيقها في العديد من المواقف اليومية والسلوكية، والأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وكيف تطورت البشرية عبر التاريخ - على الرغم من أن الأنثروبولوجيا في هذه الأيام تشمل أكثر من ذلك بكثير؛ في الواقع، اليوم تغطي جميع مجالات الحياة البشرية تقريبًا في بعض النواحي، تجاوزت الأنثروبولوجيا حدودها الأنثروبولوجيا لتكون دراساته كلية فيما يتعلق بالإنسان، تحدث علماء الأنثروبولوجيا وكتبوا عن الاختلافات المختلفة بين الأجناس البشرية، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية أصبح القيام بذلك أكثر صعوبة، حيث أصبح وصف الاختلافات العرقية بعد تلك الحرب يُنظر إليه على أنه "شبيه بالنازيين" في كثير من المجتمعات الغربية، إذ يتجه هذا الفصل نحو التعريف بموضوع الدراسة وبيان التساؤلات التي تكون بمثابة الأهداف التي ترمي الدراسة إلى تحقيقها وبيان أهمية الموضوع ومجالاته الثلاثة (الزماني والمكاني والبشري) بمبحث اول، ومن ثم التوجه في المبحث الثاني نحو التعريف بالمفهومات الأساسية للموضوع مثـــــــــل (شبكة العلاقات الاجتماعية، العمل، المهن، المنزل).

الكلمات المفتاحية: **الشخصية الاستباقية، طلبة الجامعة**

Popular occupations of women: an anthropological study in the Palestine Street area

Researcher: Zainab Muhammad Ali
Assistant Professor Dr. Haider Ali Hassan

Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of Anthropology and Sociology

Abstract:-

Interest in anthropology from the outside world was modest, and its influence was usually confined to academic circles, rarely playing a role in the public life of the anthropological community itself. But this is now changing, as a growing number of non-academics in the West have discovered that anthropology represents certain fundamental insights into the human condition, which can be applied in many Non-academics in the West understand anthropology as representing certain fundamental insights into the human condition, which can be applied in many everyday and behavioral situations. Anthropology is the study of humans and how humanity has developed throughout history - although anthropology these days encompasses much more than that The subject of the study, the statement of the questions that constitute the objectives that the study seeks to achieve, and the statement of the importance of the subject and its three areas (temporal, spatial, and human) in the first section, and then the direction in the second section towards defining the basic concepts of the subject such as (the network of social relations, work, professions, home).

Keywords: : **professions, women, work,**

بسم الله الرحمن الرحيم

الأول: موضوع الدراسة

اهتمت الدراسة في قضية هامة جداً وهي عمل المرأة المنزلي اذ يعرض بين دفتي هذه الدراسة موضوع جدير بالاهتمام، يرتكز موضوع الدراسة إلى مجموعة تساؤلات يمكن عدها أهدافاً غايتها تقديم إجابة أولية استهلالية أكاديمية للهبات هي:

١. محاولة للتعرف على اهم المهن المنزلية للنساء وكيف يتم انتاجها.
٢. محاولة التعرف على اهم الادوات المادية التي تستخدمها المرأة في العمل
٣. كيف يتم إنتاج الموسم؟ (أي الفواصل الزمنية والأيام والاسابيع والشهور) وإعادة إنتاجه موسمياً.

الثاني: الأهمية

١. هذه الدراسة لم نجد أنها إن دُرست او بُحثت الا القليل من قبل الباحثين لا سيما في الانثروبولوجيا ؟.
٢. المنهجية لم يسبق وان تم العمل بها ايضًا من الباحثين على مستوى الدراسات العليا.
٣. محاول الكشف عن ثقافتنا التي تكاد ان تكون شبه مخفية .

الثالث: مجالات الدراسة

١. المجال المكاني

يتمثل المجال المكاني للدراسة في مدينة بغداد بعامة ومنطقة شارع فلسطين بخاصة، اذ إن حيثيات الدراسة جميعها تدور في هذه المنطقة من مقابلات وملاحظات وكل ما يخص عملية تدوين البيانات الميدانية، فكل دراسة انثربولوجية يكون فيها ميدان الدراسة او الحيز المكاني للدراسة على قدر كبير من الأهمية حتى انه يكفي ذكر بعض الأماكن لتتبادر إلى الأذهان مباشرة الانثروبولوجي الذي اتخذها ميداناً لدراسته.

٢. المجال البشري

يمكن تحديد المجال البشري على أساس الفاعلين الذين شملتهم الدراسة، والذين يُعدون العنصر الاساسي في الدراسات الانثروبولوجية ولاسيما في موضوع عمل المرأة والمهن المستعملة والتي من خلالها يشكلون صورة العلاقات والنشاطات التي تقوم بها الجماعة، فلا يمكن تصور العلاقات الاجتماعية من غير وجود عناصر فاعلين، الذين تتم من خلالهن العلاقات.

الأول: شبكة العلاقات الاجتماعية: مجموعة العلاقات الاجتماعية والطريقة التي تنظم بها العلاقات بين الافراد لتشكل نمطاً نطلق عليه مصطلح الشبكة الاجتماعية[1].

او هو سلوك مجموعة من الفاعلين عندما يكون تصرف كل منهم متوافقاً مع الآخر وموجهاً نحوه في مساره، ولا بد من وجود فرصة من العمل الاجتماعي فمن الضروري كمعيار محدد ان يكون هناك على الأقل حد أدنى من العمل المتبادل بين كل طرف وآخر[2] .

العلاقات الاجتماعية كما عرفها (شاكر مصطفى سليم) بانها الروابط المتبادلة بين أفراد وجماعات المجتمع التي تنشأ عن اتصال بعضهم ببعض وتفاعلهم بعضهم مع بعض مثل روابط القرابة والروابط التي تقوم بين اعضاء الجمعيات السرية واعضاء المؤسسات الاجتماعية وأفراد الطبقات الاجتماعية والسياسية في المجتمع.[(3)]

ثانياً: العمل

يُعرَّف العمل بأنه نشاط بشري مستمر يهدف إلى إنتاج السلع والخدمات، وهو موجودة في جميع المجتمعات البشرية، درس علماء الأنثروبولوجيا في المقام الأول العمل في المجتمعات غير الصناعية/غير الرأسمالية (الصيادون والجامعون والمزارعون والرعاة والحرفيون)، بدأ علماء الأنثروبولوجيا مؤخرًا في دراسة العمل في المؤسسات الرأسمالية، والتحول من العمل غير الرأسمالي إلى العمل الرأسمالي، كما تشمل الاهتمامات الرئيسية لعلم الأنثروبولوجيا للعمل التفاعل بين البشر والطبيعة، واستخدام الأدوات، والتكامل المؤسسي والثقافي للعمل في هذه السياقات، يُعامل العمل كجزء من نظام.

غالبًا ما يكون مصطلح "العمل" يميل المفهوم إلى تغطية مجموعة أكثر تنوعًا من الأنشطة الهادفة بما في ذلك العمل المربح، والخدمة التطوعية والمجتمعية، والحرف والأنشطة الإبداعية، والمهام المنزلية والمعيشية[4].

---

[1]. A. Fred schutz,s sociological Aspect of literaturf lester Embree 1997.p135.

[2]. شارلوت سيمور، موسوعة علم الانسان

[3](الوسي مير، مقدمة في الانثروبولوجية الاجتماعية ، ط2 ، ترجمة وشرح د. شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1981، ص357.

[4]. Harvey, Penny and Christine Krohn-Hansen. 2018. “Introduction: Dislocating labour: Anthropological reconfigurations.” *Journal of the Royal Anthropological Institute* 24, no. S1: 10–28. https://www.jstor.org/stable/45183931

ثالثاً: المهن

المهنة نشاط ومهارة تحقق للإنسان متطلبات استمراره، وتسهم في توسيع نطاق استفادته من الموارد المتاحة، فضلا عن أنها تحدد له موقعه ضمن التدرج الاجتماعي للمجتمع، لهذا السبب اكتسبت أهمية كبيرة ضمن الأدبيات الانثروبولوجيا والاقتصادية، فضلا عن الدراسات النفسية والتربوية حيث تهتم هذه الأخيرة، فيما تهتم، بتأثير المهن على تطور القدرات الذهنية والمهارات المختلفة، اذ يُلزم افرادها العاملين او الذين يمتهنون على انهم مجموعة منضبطة من الأفراد والمهنيين الذين يلتزمون بالمعايير الأخلاقية والذين يقدمون أنفسهم على أنهم، ويقبلهم الجمهور على أنهم يمتلكون معرفة ومهارات خاصة في مجموعة معترف بها على نطاق واسع من التعلم المستمدة من البحث والتعليم والتدريب على مستوى عالٍ، والذين هم على استعداد لتطبيق هذه المعرفة وممارسة هذه المهارات لصالح الآخرين.

المهن الشعبية منتشرة في كل مكان في المجتمعات حول العالم لدرجة أننا نميل إلى تجاهل التساؤل عن كيفية وسبب ظهور المجموعات المهنية المتخصصة، وكيف تُنتج معارفها وتتحكم بها وتطبقها، وكيف تختلف معاني الاحترافية من سياق إلى آخر، لقد وجّه تركيز علماء الأنثروبولوجيا المبكر انتباههم إلى المهن الشعبية، حيث اعتبرت الاحترافية ممارسة أدائية أو جمالية منفصلة عن واقع العمل الفوضوي، ومؤشرًا على الهيبة والتنقل الطبقي، وساحة للتفاعل الاجتماعي والأخلاقي.

من المتأصل في تعريف المهنة أن هناك مدونة أخلاقية تحكم أنشطة كل مهنة اذ تتطلب هذه المدونات سلوكًا وممارسات تتجاوز الالتزامات الأخلاقية الشخصية للفرد، فهي تحدد وتطالب بمعايير سلوكية عالية فيما يتعلق بالخدمات المقدمة للجمهور وفي التعامل مع الزملاء المهنيين وغالبًا ما تُطبق هذه المدونات من قبل المهنة، ويعترف بها المجتمع ويقبلها.

جادل إميل دوركهايم بأن المهن تُنشئ مجتمعًا مستقرًا من خلال توفير هيكل منفصل عن الدولة والجيش، أقل ميلًا إلى الاستبداد أو الفوضى، ويمكنه أن يُعزز الإيثار ويشجع المسؤولية الاجتماعية، وقد وسّع تالكوت بارسونز هذا المنظور الوظيفي، حيث درس كيف يمكن أن تتغير وظيفة المهنة استجابةً للتغيرات في المجتمع.

المهن الشعبية للمرأة تشمل مجموعة واسعة من الحرف والوظائف التي مارستها المرأة عبر التاريخ، سواء في الريف أو المدينة، وتشمل الحرف اليدوية مثل الحياكة، والنسيج، وصناعة الفخار، والخياطة، والتطريز، بالإضافة إلى مهن أخرى مثل الخادمة، والداية، والغسالة، والندابة، والملاية، كما أن هناك مهن تقليدية أخرى مثل التجارة، والحدادة، والبناء، والصناعة، والرعي، والصيد، والنحت، وصناعة الخزف، والحلاقة، والتي شاركت فيها المرأة أيضًا.

أنثروبولوجيا العمل والعلاقات الاجتماعية

تمهيد

أن الأنثروبولوجيا وما يميزها عن معظم الدراسات الإنسانية هو الأهتمام بالبدايات الأولى لنشوء الأنسان، ويعد العمل الجزء الأكبر في حياة الأنسان، أذ كان يركز على العمل الشاق لجلب الطعام، وابتدأ ذلك من خلال السعي للحصول على الغذاء، إذ يعني ذلك الخروج للبحث في الأدغال ومواجهة الحيوانات المفترسة، ومن ثم استخدام جلودها لأجل الدفيء وبناء المساكن، لم يتغير مفهوم العمل كثيراً في العصور الوسطى حتى الوقت الحاضر، فما زال الدافع الأول الذي يُحرَّك الناس للعمل هو الحاجة، وقد تم تقسيم الحاجات الى حاجات أساسية تتمثل الأولى في الحاجه الى الغذاء، الملبس، المسكن، حاجات ثانوية، تتمثل في الحصول على بعض الترفيه في العيش كالحصول على مجوهرات وارتدائها للتفاخر والزينة، ووفق هذه الحاجات فأن المجتمعات أصبحت سابقاً في نظام الطبقات، فالطبقة التي وفرت الحاجات الثانوية تعني طبقة مرفهة والطبقة التي لم تتمكن من توفير أدنى متطلبات الحاجات الأساسية تعني الطبقة الفقيرة، لطالما كان العمل شاقاً ومع تطور المجتمع أصبح هناك الآلات التي يتم استبدالها بالأيدي العاملة مما أصبح الأمر يمثل نوعاً من المساعدة في تخفيف الألم البدني في مقابل الكثير من العاطلين عن العمل، ومنذ البداية كانت هناك علاقات بين أطراف العمل الذين يعملون في المكان ذاتهُ كأن يحفرون الأرض للبحث عن مياه باستخدام أدواتهم البسيطة من فؤوس ومحاريث، أو يقاتلون حيوانات مفترسة، فأحدهم يحرسُ المسكن أن كان كهفاً أو بيتاً من القش، وآخر يذهب للبحث عن الغذاء، وهكذا يكون التعاون في تحقيق رغبة البقاء على قيد الحياة، التعاون في العمل وتبادل الأدوار، والجدير بالذكر أن علماء الأنثروبولوجيا قد درسوا العلاقات الاجتماعية للعمل خلال رحلاتهم الميدانية يمكن فقط الإشارة الى كيفية تداخل العلاقات الاجتماعية وأنثروبولوجيا العمل من خلال أهم الدراسات.

المبحث الاول: نماذج من دراسات

اولاً: نظام التبادل "الكولا"

الكولا هو شكل من أشكال التبادل، ذو طابع واسع النطاق بين القبائل، ويتم تنفيذه من قبل مجتمعات تسكن حلقة واسعة من الجزر، والتي تشكل دائرة مغلقة يمكن رؤية هذه الدائرة على الخريطة حيث يتم تمثيلها بالخطوط التي تربط عددًا من الجزر إلى الشمال والشرق من الطرف الشرقي لغينيا الجديدة على طول هذا الطريق، تنتقل سلع من نوعين، وهذان النوعان يسيران باستمرار في اتجاهين متعاكسين باتجاه عقارب الساعة، يتحرك باستمرار أحد هذه الأنواع – تمثلت بقلادات طويلة من الصدف الأحمر، تُسمى (سولافا)، وفي الاتجاه المعاكس، يتحرك نوع آخر من الأساور من الصدف الأبيض، تُسمى (موالى) كل قطعة من هذه القطع، أثناء تحركها في اتجاهها الخاص على الدائرة المغلقة، تلتقي في

طريقها بقطع من النوع الآخر، ويتم تبادلها باستمرار كل حركة من قطع كولا، وكل تفصيل من تفاصيل المعاملات، مُحدد ومنظم بمجموعة من القواعد والأعراف التقليدية، وبعض أعمال الكولا مصحوبة بطقوس سحرية مُعقدة واحتفالات عامة[1].

في كل جزيرة وفي كل قرية، يشارك عدد محدود إلى حد ما من الرجال في الكولا، أي يتسلمون البضائع، ويحتفظون بها لفترة قصيرة، ثم يمررونها لذلك، يتلقى كل رجل موجود في الكولا، بشكل دوري ولكن ليس بانتظام، واحدًا أو أكثر من الموالي (أصداف الذراع)، أو سولافا (قلادة من الأصداف الحمراء)، ثم يتعين عليه تسليمها إلى أحد شركائه، الذي يتلقى منه السلعة المقابلة في المقابل، وبالتالي لا يحتفظ أي رجل بأي من هذه الأشياء لأي فترة من الوقت في حوزته، معاملة واحدة لا تنهي علاقة الكولا، والقاعدة هي "مرة واحدة في الكولا، والشراكة بين رجلين هي علاقة دائمة مدى الحياة مرة أخرى، قد يكون أي موالى أو سولافا دائمًا مسافرًا وينتقل من يد إلى أخرى، وليس هناك شك في استقراره أبدًا، بحيث ينطبق مبدأ "مرة واحدة في الكولا، دائمًا في الكولا" أيضًا على الأشياء الثمينة نفسها[2].

ثانياً: العمل في المجتمعات الرأسمالية

منذ ثمانينيات القرن الماضي تحولت الأبحاث الانثروبولوجية حول العمل بشكل متزايد إلى المجتمعات الرأسمالية اذ تركز Anthropology of Work Review ، التي تأسست عام (1980)، بشكل حصري تقريبًا على العمل في المجتمعات الرأسمالية، ما المحتوى الأنثروبولوجي لهذه الدراسات؟ ما الذي يميزهم عن دراسات العمل التكنولوجية أو الاجتماعية أو النفسية؟ الأنثروبولوجيا تركز على الثقافة وبالتالي يُعد انثروبولوجيا العمل وثقافة المنظمات أحد المجالات الرئيسية للدراسة، تستند معظم الدراسات الانثروبولوجية على ملاحظة المشاركين يكمل العديد من الباحثين تدريبًا مهنيًا، وغالبًا ما يمارسون التجارة المكتسبة لعدة سنوات ونتيجة لذلك، فإنهم يمارسون ملاحظة المشاركين بشكل جذري أكثر بكثير من معظم علماء الأنثروبولوجيا الكلاسيكيين[3].

العديد من مجالات العمل في المجتمعات الحديثة تهم علماء الأنثروبولوجيا اذ يركز البعض على الحرفيين، لأن تجارتهم مرتبطة بشكل وثيق بالأنثروبولوجيا الكلاسيكية في دراسة عن الحدادين استنادًا إلى الخبرة الوظيفية الشخصية، أظهر عالم الانثروبولوجيا

[1]. د. قيس النوري, الانثروبولوجيا الاقتصادية, مطبعة التعليم العالي, الموصل, 1989, ص21.

[2]. د. زيد بن محمد الرماني, اقتصاد الاسرة, دار طويق للنشر والتوزيع, الرياض, ط1, 2004, ص7.

[3]. فتحية محمد ابراهيم، دراسات نسائية، سلسلة عالم المعرفة، المجلد التاسع، العدد الرابع، يناير، الكويت، 1979، ص267.

الامريكي (سانت كلير دريك St. Clair Drake) مدى قرب التعلم وممارسة العمل التي تعتمد على التأثيرات والتجارب المعرفية غير اللفظية.

يتم تأكيد الميل التقليدي لعلماء الأنثروبولوجيا للموضوعات الغريبة من خلال اهتمامهم بأنواع العمل مثل (رعاة البقر، مهندسو القاطرات، سائقي الشاحنات)، يعد العمل الصناعي وتحوله موضوعًا آخر مهمًا، ويقضي بعض علماء الأنثروبولوجيا سنوات عديدة في التوظيف الصناعي في السنوات الأخيرة ، اجتذب قطاع الخدمات والمعلومات الحديث اهتمامًا كبيرًا، بما في ذلك منافذ الوجبات السريعة وأجهزة الكمبيوتر وخدمات الإصلاح والمختبرات العلمية[1].

يعمل الناس ببساطة لأنه يفضل "إضاعة الوقت" على مدار يوم طويل تظهر جميع التحقيقات أن أداء العمل المتسق يمتلك بنية متأصلة لا تحكمها ضوابط أو عقوبات علاوة على ذلك، فإن عالم العمل لا يحدده العمل حصريًا ؛ بل هو عالم يوفر فيه مجالًا للعلاقات الشخصية والعواطف مثل الفرح والإحباط ومجموعة من التأثيرات الخارجية الأخرى.

ثالثاً: العمل في منظور مقارن

يتفق معظم علماء الانثروبولوجيا على أن العمل السابق للرأسمالية جزء لا يتجزأ من المجتمع والثقافة، ويقترن بأنشطة أخرى كما يجادلون بأن هناك المزيد من الحرية، لأن هناك سيطرة أقل صرامة، اذ يبدو أن العمل ما قبل الرأسمالي وما قبل الصناعة يتحدد إلى حد كبير بالعوامل البيئية المنطقية والتقنية، تكشف دراسات العمل في المجتمع الرأسمالي عن فاعلين مستقلين لا يؤدون عملهم فحسب، بل يعرضون أيضًا العواطف، ويزرعون العلاقات الشخصية ويرون عملهم كعالم حياة، هل النظريات القديمة خاطئة؟ النتائج البحثية الجديدة تصحح جزئيًا النظريات ثنائية التفرع حول التناقض بين عمل ما قبل الرأسمالية والعمل الرأسمالي. ومع ذلك ، فإن هذه النتائج إلى حد كبير هي نتائج بحثية. يقبل معظم علماء الأنثروبولوجيا العاملين في المجتمعات الرأسمالية الشروط الهيكلية للعمل كما هي معطاة، ويركزون على نطاق العمل الفردي اذ يتم اعتماد هذا الرأي من خلال طرق مراقبة المشاركين، كما يجب على عالم الأنثروبولوجيا، الذي تتمحور أبحاثه حول الفلاحين أو الرعاة أو الباحثين عن الطعام ، أن يبحث في جميع جوانب عملهم وهذا يشمل الهياكل البيئية والتقنية والمؤسسية لا يقيس علماء الأنثروبولوجيا وقت العمل في

[1] . د. زيد بن محمد الرماني, اقتصاد الاسرة, دار طويق للنشر والتوزيع, الرياض, ط1, 2004, ص7.

.فتحية محمد ابراهيم، دراسات نسائية، سلسلة عالم المعرفة، المجلد التاسع، العدد الرابع، يناير، الكويت، 1979، ص.267

المجتمعات الرأسمالية، لأن البيانات عادة ما تكون متاحة بخلاف ذلك ومع ذلك، في المجتمعات السابقة للرأسمالية، غالبًا ما تكون الأساليب التي تستغرق وقتًا طويلاً مطلوبة لقياسها من ناحية أخرى ، نادرًا ما يتم فحص وجهة نظر الممثل الطريقة مهمة أيضا في هذا السياق تتم ممارسة ملاحظة المشاركين، التي تفضل منظور الممثل او المبحوث، في المجتمعات الرأسمالية أكثر منها في المجتمعات غير الرأسمالية[1].

رابعاً: مقاربات في انثروبولوجيا العمل

أن المقاربات الانثروبولوجية تسعى الى إضفاء طابعاً من الشمولية في رؤيتها ومنظورها للعمل، على غرار ما ذهب إليه عالم الاجتماع والانثربولوجيا "مارسيل موس" (Marcel Mauss ١٨٧٢ -١٩50)، من أن العمل يشكل ظاهرة إنسانية واجتماعية شاملة ذات أبعاد متعددة، منها البيولوجي المتمثل فيما يبذله الإنسان من طاقة جسدية عند ممارسته للعمل، ومنها النفسي ذو الصلة الوثيقة بشخصية العامل ومختلف انفعالاته الكامنة وتفاعلها مع مكان عمله ومحيطه، ومنها الاجتماعي ذو الصلة بشبكة العلاقات الاجتماعية التي تنسج بين الأفراد في نطاق كل مجال من مجالات العمل المختلفة، من بين صنوف وأنواع العمل المختلفة، غالباً ما يُنظر الى المهن الشعبية باعتبارها من أهم النشاطات التي تدخل في اطار مفهوم الانثروبولوجيا العمل، نظراً لاتصال هذه المهن بمجموعة من المهارات والخبرات التي تحقق متطلبات الحياة للإنسان وتساعده على استمراره، وتوسيع نطاق استفادته من الموارد التي توفرها له البيئة الطبيعية والاجتماعية من حوله، فضلاً عن دورها في تحديد موقعه ومكانته الاجتماعية في المجتمع[2].

المهن الشعبية بطبيعتها تبقى نتاجاً حضارياً لتاريخ طويل وممتد من الفعالية التي أظهرتها الجماعات الإنسانية في بيئاتها الطبيعية التي التصقت بها؛ إذ تتميز هذ المهن بخصائص وسمات عديدة تكسبها - في الغالب - طابعاً من الديمومة والاستمرارية، ذلك أنها لا تقتصر على تجليات الإبداع الذي تم انتاجه في الماضي فحسب، بل وتواكب التحولات والتطورات، وتحاكي الانتاج الإبداعي الذي يقدمه العاملين المهرة في كل مهنة بصورة مستمرة، سواء كان ذلك من حيث الشكل أو الوظيفة، الأمر الذي جعل من هذه الفئة الحيوية من النشاطات والخبرات المهنية ذات الطابع الشعبي على رأس أهم العوامل والقسمات الحيوية التي تسهم بشكل كبير في الحفاظ على هوية المجتمع وخصوصيته، وإبراز قيمة إرثه الحضاري واسهاماته الحضارية المتجددة "، من زاوية ما يمكن النظر دائماً الى

[1]. سامية حسن الساعاتي، سوسيولوجيا العمل المنزلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلد الثامن، العدد الثالث، اكتوبر، الكويت، 1977، ص236.

[2] . Jacobson, D. (1987). The cultural context of social support and support networks. Medical Anthropology Quarterly, p, 42.

الإنسان باعتباره عاملاً مهنياً، غالباً ما يُقيم - من خلال ممارساته ونشاطاته المهنية علاقة وطيدة بينه وبين البيئة المكانية التي يعيش فيها الضمان توفير الشروط الضرورية لحياته، وهذا ما جعل من المهن الشعبية ليس فقط الأكثر قدماً وعراقة، بل والأكثر التصاقا بالمجال المكاني الذي ولدت ونشأت ونمت وتطورت ملتصقة به[1].

المبحث الثالث: ميدان الدراسة

تمهيد:

عندما يتولى الباحث الأنثروبولوجي مهمة القيام بالعمل الميداني فإنه يواجه عددًا كبيراً من العقبات التي يتعين عليه التغلب عليها من أجل تسجيل معلومات دقيقة لمجتمع الدراسة، أحد الأشياء التي يجب على باحث الأنثروبولوجيا القيام بها من أجل اكتساب تجربة مجزية أثناء رحلته لزيارة مجتمع الدراسة هي معرفة الأفضل والمضي قدمًا في المجال المعين الذي يدرسه، اذ يجب أن يكون الباحث الأنثروبولوجي في البداية على دراية إلى حد ما بثقافة المجتمع المدروس - مجموع أنماط السلوك المنقولة اجتماعيًا والفنون والمعتقدات والمؤسسات وكل المنتجات الأخرى للعمل والفكر البشري)، إن عدم إلمام الباحث بأحوال المجتمع المدروس وباللغة يجعل الأمر صعباً للغاية، وذلك لأنه لا توجد وسيلة أخرى للتواصل غير لغة الجسد، وفي أغلب المجتمعات، يعد التواصل أمراً بالغ الأهمية، وهو الوسيلة الأكثر فعالية لنقل الأفكار من فرد إلى آخر، وإذا كان هناك ما يسمى "حاجز اللغة"، فإن ذلك يجعل العمل الميداني صعباً للغاية، وهناك عقبة أخرى يتعين على الباحث الأنثروبولوجي التغلب عليها، وهي الاختلاف في التقاليد والدين بين خلفيته وخلفية المجتمع المدروس، ولكي يثق الأشخاص الذين يجري دراستهم في الأنثروبولوجيا، يتعين على هؤلاء الأشخاص أن يكتسبوا شعوراً بالثقة، وفي كثير من الحالات، تتحقق هذه الثقة من خلال فهم الباحث الأنثروبولوجي وقبوله للتقاليد والمعتقدات الدينية الخاصة بالأشخاص من أجل الحصول على معلومات دقيقة أثناء العمل الميداني، كذلك الاختلاف في المظهر بين الباحث والأشخاص الذين يجري دراستهم وفي كثير من الحالات، يكون أكبر شيء يشكل حاجزاً هو مظهر الأشخاص، ففي كثير من الأحيان يحكم الناس على الآخرين بناءً على مظهرهم فقط.

العمل الميداني هو عمل علمي يتطلب الملاحظة المباشرة وتسجيل أو توثيق ما يراه الباحث ويسمعه ويتذوقه ويشمه في بيئة معينة، سواء كان ذلك مجتمعًا حرفيًا ريفيًا أو سوقًا مزدحمًا في مدينة أو مجتمعًا قبليًا، إن جودة النتائج التي يتم الحصول عليها من العمل

[1]. فكري آل هير، رحلة في شقوق الكّف، انثروبولوجيا المهن الشعبية والالتصاق بالأرض دراسة اثنوغرافية، دار المعرفة، بيروت، 2011، ص23.

الميداني تعتمد على البيانات التي يتم توليدها نتيجة للعمل الميداني وتعتمد البيانات التي يتم توليدها بدورها على العامل الميداني نفسه، ومستوى مشاركته، وقدرته على رؤية وتصور أشياء اذ غالبًا ما يفشل أي شخص آخر يزور المكان في ملاحظتها، وكلما كان الباحث أكثر انفتاحًا على الأفكار والمفاهيم والأشياء الجديدة التي ربما لم يرها في ثقافته الخاصة، كان استيعاب هذه الأفكار أفضل، إن الفهم الأفضل لمثل هذه الأفكار يعني فهمًا أفضل لقوى الثقافة العاملة في المنطقة والطرق التي تعدل بها حياة الأشخاص المقيمين في تلك المنطقة، كما يتعين على الباحث أن يتعامل مع الناس من دون أفكار مسبقة حول المؤسسات المختلفة التي يتعين عليه دراستها، والاعتماد على الأدبيات السابقة امراً جيداً لأنه يقدم الباحث للناس وثقافتهم، ولكن بما أن قوى التطور تنطبق على الثقافات والمجتمعات بنفس الطريقة التي تنطبق بها على الإنسان ككائن بيولوجي، يصبح من الضروري جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات شخصيًا.

يقضي الباحث الميداني الكثير من الوقت في الميدان في مراقبة الناس، وهناك صفات يولد بها الإنسان أو يتعين عليه أن يطورها أثناء العمل المكثف، فإن الباحث الميداني الجيد "يولد" ولديه صفات متأصلة معينة تجعله يراقب الأشياء من وجهات نظر مختلفة، ويمكن للتدريب أن يحسن من قدراته ولكن التدريب لا يمكن أن يجعل أي شخص باحثًا جيدًا، مالينوفسكي هو النموذج المثالي لذلك، فهو لم يتلق أي تدريب رسمي في البحث الميداني ومع ذلك فإن عمله يعتبر من أرقى الأعمال على الإطلاق، إن العقبة الأولى التي يواجهها الباحث هي الاقتراب من الناس، الناس الذين يتوخون الحذر بشأن نواياه، والناس المختلفين عنه والناس الذين تختلف قيمهم وعاداتهم هنا قد يواجه المرء الرفض، لذلك يجب أن يكون قوي العقل ومتمكناً من إقناع الناس بالسماح له والاقتراب منهم والعمل بينهم، هناك أشياء يقولها الناس وأشياء يقصدها الناس، ويجب أن يكون الباحث قادرًا على القراءة بين السطور، لأن لا أحد يريد تقديم صورة سيئة عن مجتمعه.

يتطلب العمل الميداني قدرًا هائلاً من التركيز، وقد تكون هناك عوامل تشتيت يجب على الباحث التغلب عليها، الأمر كله يتعلق بالتركيز على موضوع الدراسة، إن أخلاقيات العمل الجيدة في الميدان وخارجه تشكل جزءًا أساسيًا من العامل الميداني الجيد، اذ لا ينبغي القيام بأي شيء ينتقص من عنصر الثقة الذي وضعه المجتمع الذي يدرسه في العمل الميداني، كما يجب وصف غرض الدراسة ومزاياها أو غيابها، أياً كان، بوضوح للسكان الذين تتم دراستهم أينما كان لا بد من طلب الإذن، فيجب الحصول عليه من السلطات المختصة، ويجب أن يكون الباحث الميداني حذرًا في تقديم المعلومات الحساسة كنتائج في تقريره النهائي، إن أخلاقيات العمل الجيدة تمنح الباحث مصداقية، وتضمن له الاحترام والتقدير من بين المجموعة التي عمل معها، كما أنها مهمة لأنها تضع الأساس الجيد للباحثين المستقبليين الذين سيعملون على نفس الأشخاص ونفس المنطقة.

المحطة الاولى: الحلاقة المنزلية

في تمام الساعة الرابعة عصراً الذي صادف يوم الثلاثاء 7/11/2023، كان الجو ذو درجه حرارة معتدلة تتراوح ما بين (30_33) درجة تقريباً، ذهبت ماشيةً الى اقاربي الذي يبعدون عن محل سكناي ما يقرب 150 متر وطرحت عليهم موضوع دراستي وان يساعدوني في ايجاد ما تتوق له دراستي، فبادرت احدى اقاربي بأن يوجد صالون لحلاقة النساء (شعبي) في وسط المنطقة والي بأمكانك التواصل مع الحلاقة الموجودة في هذا الصالون، وبالفعل ذهبت وحسب الوصف والذي يقع في منطقة شارع فلسطين واذا بمحل قد شُيد حديثاً من بيت سكني كان يطلق على اسم صالون الشهد، غرفة من بيت تم تشييدها وترتيبها وتزيينها لجعلها صالون للحلاقة النسائية، في الباب الامامي صورة لعروس ترتدي ثوب الزفاف (بدلة) بيضاء الون، وتحت صورة العروس يوجد اسم الصالون بخط واضح، المكان من الخارج مطلي بالون الاخضر الفاتح، كان يمثل جزء من البيت الا ان له باب خارجي بمعزل عن البيت الصالون يتألف من غرفتان الغرفة الأولى طُليت بالون الابيض تتوسط المكان "قنفتان" بالون الزيتوني احدهما امام الباب والاخرى امامها، خلف الباب توجد ستائر كبيرة بجانب الباب مغسلة مخصصه لغسل الشعر اسفنجية ذو لون احمر الى جانب المغسلة توجد مرآة متوسط الحجم تتوسط الحائط وامام المرأة كرسي خشبي قديم بعض الشي، على الجانب الأيمن من المرآة يوجد رف مخصص للأدوات والكريمات التي تستخدم لمعالجة وصبغ الشعر، كان بأحد الغرف براد للماء أبيض الون في الغرف الثانية هناك خمسة أو ست كراسي وطبلة خشبية مخصصة للماكيرة التي تقوم برسم الحاجب باستخدام قلم التاتو، يوجد الى الجانب الايسر مكان مخصص لوضع ثوب الزفاف (البدلة) يوجد العديد منها لاحظت احدهما بلون الوردي بجانبها فستان زيتوني معروض للبيع.

امام الغرفة الثانية يوجد مرآتين امام كل مرآة كرسي وتحوي المرآة على رف مخصص لوضع الادوات التي يحتاجهن في العمل من دبابيس وفرشات (Make up الميك آب) وادوات أخرى، يعلو المرآتين مكيف هواء الى الجانب الايسر من الغرفة الثانية يوجد رف زجاجي على طول الحائط، داخله علب مخصصة لتسريح ومعالجة الشعر اكسسوارات خاصة ليوم العرس المتمثلة "بالمسكة"[1*]، ودبابيس للعروس وكذلك كان هناك اصباغ للشعر بمختلف الأحجام والألوان, تدير الصالون الماكيرة ايمان، كانت تضع شهاده تخرجها من معهد التدريب على حائط الغرفة الثانية وهناك مساعده للماكيرة تدعى (ام امير).

ايمان فتاة تبلغ من العمر واحد وثلاثين سنة تقريبا هي بيضاء البشرة ضعيفة البنية متوسطة في الطول ترتدي ثوب حني الون على الثوب يوجد تطريز بالون الاصفر قد

[1*]. المسكة: المسكة عبارة عن مجموعه من الورود بمختلف الألوان والاحجام تمسكها العروس وهي من مكملات ثواب الزفاف.

رسمت حواجبها بطريقة فنية رائعة تُعرف بـــ(التاتو Tattoo) اسود الون مما يزيد من جمالها، عيناها عسلية متزوجة ولديها اربعة بنات، لم تضع شيئا من (Make up الميك آب) على وجهها تمتاز بكونها هادئة ذو اسلوب مميزة لديها طريقتها السحرية المتمثلة بالهدوء ورقة الكلام وطريقة القاءها للسلام وتعاملها الحسن وطاقة التحمل مما يؤدي الى جذب زبانها بسهولة وسرعة فائقة.

الماكيرة ام امير هي امرأة تبلغ من العمر اثنان واربعون سنة تقريباً هي ذو بشرة سمراء، ضخمه البنية متوسطة في الطول شعرها قصير اسود، حواجبها مرسومه بقلم (التاتو Tattoo) كان لونهم خفيف بعض الشي مما يدل على زوال (التاتو Tattoo) عيناها ذو لون جوزي وكانت شفتاها منتفخة قليلة نتيجة الفتر.

ام امير مطلقة، كانت تحمل معها دائماً علبة من السجائر تدخن بين تارة والأخرى في الصالون توجد تسعة نساء متوسطات في العمر من الخامسة والعشرون الى عمر الثالثة والاربعون تقريباً، كانت الماكيرة ايمان في الغرفة الثانية بالقرب من المرأة تجلس على طبلة الخشبية وهنالك اربعه فتيات معها، حيث ينتظرن دورهن في رسم الحاجب (دگ التاتو Tattoo).

تبدأ الماكيرة بوضع مادة مخدرة على شكل (عصارة) ذو لون ابيض باستخدام اصابعها، تقوم بأخذ مقدار صغير من العصارة وتضعها على اصبعها السبابة وتقوم بوضعه من نهاية الحاجب الى الامام بتجاه عكس نمو الشعر، تبدأ من الحاجب الايسر ثم تنتقل للحاجب الايمن وبالعكس، بعد ذلك تضع قطعة من النايلون الشفاف على حاجبين الفتاة لغرض تخدير مكان الحاجب وكلما استغرق هذه العملية مدة اطول كلمة قلة الشعور بالألم.

بعد ذلك تقوم بتشغيل الجهاز من خلال وصلة بالكهرباء، هو عبارة عن جهاز يشبه القلم موصول بسلك كهربائي وفي نهايته توجد ابرة رفيعة جداً يصعب رؤيتها وفي اعلى القلم توجد ازراراً للتحكم في سرعة الإبرة، كانت هناك فتاة جالسة بالقرب من الماكيرة ايمان الغرض رسم (التاتو Tattoo) تبدو بالسن السادسة والعشرون تقريباً هي بيضاء محمرة، قصيرة القامة توجد شامة تحت عينها اليمنى، كانت عيناها ذو لون جوزي وانفها رفيع ولديها شعر مخصل بالون الاصفر، ترتدي ثوب يحوي على عدة الوان، كانت حامل.

تقوم الماكيرة ايمان برفع الغطاء من مادة النايلون من الحاجب الايمن وتترك الغطاء في الجانب الايس، بعد ذلك تبدأ بمسح المادة المخدرة من الحاجب باستخدام الكلينكس ثم تقوم بأول الأمر باستخدام قلم جاف ومسطرة الرسم الحاجب واخذ قياساته، بعدها تقوم بارتداء وعاء صغير جداً ذات لون ابيض على شكل خاتم في يدها اليسرى وفي مقدمة اصبع السبابة، يحوي على صبغ التاتو، تمسك جهاز قلم التاتو بيدها اليمني وتجلس الزبونة على كرسي متحرك، الماكيرة تكون بالقرب من رأس الزبونة اذ تقوم بمسك رأس الزبونة باستخدام يدها اليسرى وتبدأ رسم (دگ) الحاجب مستخدمة يدها اليمني، بعد عملية تخطيط الحاجب بقلم الجاف تقوم برسمة التاتو من نهاية الحاجب إلى البداية بخطوط

عشوائية داخل اطار التخطيط الحاجب تعيد تكرار العملية بالأخذ من المادة الموجودة في الوعاء الصغير التي تحتوي على صبغ التاتو، تقوم برسم الحاجب تارة ومسحه باستخدام الكلينكس تارة أخرى، لترى شكل الحاجب، تعيد تكرار هذه العملية لأكثر من عشرة الى عشرون مرة أو أكثر، حتى يأخذ شكله الجديد باستخدام التاتو تستمر هذه العملية من خمسة وعشرون إلى ثلاثون دقيقة لأحد الحاجبين بعد ذلك تقوم الزبونة لترى التغير الذي طرأ على وجهها بعد رسم (دگ) أحد حواجبها، وتبدو الدهشة والبسمة على وجهها، بعدها تأخذ آراء الفتيات الموجودات في الغرفة كأنها تقول بأني قد اصبحت جميلة وان العمل جيد واذا كان هناك ما يلزم تغييره في رسم الحاجب تقوم الماكيرة في تعديله حسب طلب الزبونة.

الخاتمة

تناول البحث اهم الاعمال التي قدمتها المرأة والتي صُنفت على حسب الدراسات الانثروبولوجية بالمهن الشعبية والتي تم عرض اهم الادوات المادية التي تعاملت معها المرأة في ظل ظروف صعبة واجهتها المرأة العراقية في مدينة بغداد تحديداً منطقة شارع فلسطين اذ عمدت الباحثة على النزول الى الميدان واجراء مقابلات مباشرة مع الفاعلين في الدراسة وقد توصلت الدراسة الى ان المرأة العاملة تبذل جهداً مادياً ومعنويا من اجل الحصول على اجور تمكنها من اعالة المرتبطين بها اضافة الى السلوك المعتاد بين هذه المهن والذي اتفقت عليه الانثروبولوجيا واعطت له مساحة اطلقت عليه بالنمط، كان الاهتمام بعلم الأنثروبولوجيا من العالم الخارجي متواضعاً، وكان تأثيره يقتصر عادة على الدوائر الأكاديمية، ونادراً ما كان يلعب دوراً في الحياة العامة لمجتمع علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم، ولكن هذا تغير الآن، فقد اكتشف عدد متزايد من غير الأكاديميين في الغرب أن علم الأنثروبولوجيا يمثل رؤى أساسية معينة تتعلق بالحالة الإنسانية، والتي يمكن تطبيقها في العديد من المواقف اليومية والسلوكية، والأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وكيف تطورت البشرية عبر التاريخ.

مصادر الدراسة

١. لوسي مير، مقدمة في الانثروبولوجية الاجتماعية ، ط2 ، ترجمة وشرح د. شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1981.

2. Harvey, Penny and Christine Krohn-Hansen. 2018. "Introduction: Dislocating labour: Anthropological reconfigurations." *Journal of the Royal Anthropological Institute* 24, no. S1: 10–28. https://www.jstor.org/stable/45183931.

٣. د. قيس النوري, الانثروبولوجيا الاقتصادية, مطبعة التعليم العالي, الموصل, 1989.

٤. د. زيد بن محمد الرماني, اقتصاد الاسرة, دار طويق للنشر والتوزيع, الرياض, ط1, 2004.

٥. فتحية محمد ابراهيم، دراسات نسائية، سلسلة عالم المعرفة، المجلد التاسع، العدد الرابع، يناير، الكويت، 1979.

٦. سامية حسن الساعاتي، سوسيولوجيا العمل المنزلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلد الثامن، العدد الثاث، اكتوبر، الكويت، 1977.

7. Jacobson, D. (1987). The cultural context of social support and support networks. Medical Anthropology Quarterly,.

٨. . فكري آل هير، رحلة في شقوق الكّف، انثروبولوجيا المهن الشعبية والالتصاق بالأرض دراسة اثنوغرافية، دار المعرفة، بيروت، 2011.

9. A. Fred schutz,s sociological Aspect of literaturf lester Embree 1997.p135.